

التبيان في تفسير القرآن

(298) لقراءة القرآن منه وسمع ما يؤديه إلى الحق من الوحي وما يدعوه إليه، فلا يصغي إليه ولا ينتفع به حتى إذا خرج من عنده لم يدر ما سمعه ولا فهمه، ويسألون أهل العلم الذين آتاهم العلم والفهم من المؤمنين (ماذا قال آنفا) أي أي شيء قال الساعة؟ وقيل: معناه فرينا مبتديا. وقيل: إنهم كانوا يتسمعون للخطبة يوم الجمعة وهم المنافقون، والآنف الجائي بأول المعنى ومنه الاستئناف، وهو استقبال الأمر بأول المعنى، ومنه الانف لانه أول ما يبدو من صاحبه، ومنه الانفة رفع النفس عن أول الدخول في الرتبة. وإنما قال (ومنهم من يستمع إليك) فرده إلى لفظة (من) وهي موحدة. ثم قال (حتى إذا خرجوا) بلفظ الجمع برده إلى المعنى، لان (من) يقع على الواحد والجماعة. ثم قال تعالى (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم) أي وسم قلوبهم وجعل عليها علامة تدل على أنهم كفار لا يؤمنون، وهو كالختم وإن صاحبه لا يؤمن فطبع الله على قلوب هؤلاء الكفار ذما لهم على كفرهم أي لكونهم عادلين عن الحق واخبر أنهم (اتبعوا) في ذلك (اهواءهم) وهو شهوة نفوسهم وما مال إليه طبعهم دون ما قامت عليه الحجة يقال: هوى يهوى هوى فهو هاو، واستهواه هذا الأمر أي دعاه إلى الهوى. ثم وصف تعالى المؤمنين فقال (والذين اهتدوا) إل الحق، ووصلوا إلى الهدى والایمان (زادهم هدى) فالضمير في زادهم يحتمل ثلاثة أوجه: احدها - زادهم الهدى بما ينزل عليهم من الآيات والاحكام، فاذا اقرؤا بها وعرفوها زادت معارفهم. الثاني - زادهم ما قال النبي (صلى الله عليه وآله) هدى. الثالث - زادهم استهزاء المنافقين إيماننا.